الاله الـكبير Ntr 3

د٠ / حازم احمد عطية الله
مدرس المصريات بكلية السياحة

ان مشكلة اثبات الوحدانيـــة فى الديانة المصرية القديمة وما ينبثق منها من معتقدات أخرى مازالت تحتاج الى دراسة جديدة ، لمـا تحويه تلك المعتقدات من مظاهر ومدلولات تشير الى عبادة الاله الأوحـــد على مر العصور التاريخية المختلفة ٠

وقـــد اختلفت وتباينت وتداخلت تلك الظواهر والمدلولات فانعكس ذلك على الصفات والتسميات التى أطلقت للتعريف بهذه المعتقدات ، وهى فى النهاية لا تتعدى كونها مظاهر الوجود لذلك الاله الأوحد ٠

فمن خلال هـــذا المقـــال نتعـــرض على وجـــه الأخص لظـــاهرة الازدواجية لمدلولات وصفات الاله الأعلى ٠ وهى محـــاولة لطرح بعض النقاط المبتكرة الجديدة القابلة للتوسع والدراسة المتعمقة فيما بعد ٠

منذ البدء كان هنـــاك بجانب أو فوق الآلهة الأساسية معتقد أعلى يعبـــد (Ntr 3) (الاله الـــكبير) ٠

وكما سمى فى تعاليم الحكمة بصياغات متعددة أنه الاله الـــكلى ؛ « الذى نشأ من نفسه » « ســـيد الشىء الذى يكون ولا يكون » ، انه « الاله » ٠

« أنه يتنبأ ببعث الأشياء ؛ فتولد فورا » ٠ انه يبعثهـــا من خلال

صوته (تساوى الـكلمة الخالقة) • ويسن القوانين لمـا سوف يكون انه لا ينظم شيئا مؤذيا [1] •

انه « الأكبر » و « رب كل شيء » « الأله » فى صـورته الأولى القـديمة الذى يحمل فى نفسه كل شيء كائن ، فهو بـدون نهـاية أى « الأوحد » ، « الحى » ••• الخ • وكثيرا مايتصف بصفات النفى من أجل التعبير عن بعد الشيء عن طاقة الانسـان الذى لا يمكن الوصـول اليه ، مشابها فى ذلك لمـا هو متعارف عليه فى مفـاهيم الأفلاطونيـة الحديثة والمسيحية [2] •

وبالرغم من معرفتنا بالعبادات المحلية ،فقد كان هناك فى أقـدم مرحلة معروفة لدينـا للديانة المصرية القديمة اعتقاد بأن هناك الها أعلى هو الخالق الحافظ للعالم أجمع •

ونفس الشيء ينطبق على تطور مصر القديمة لتصبح دولة متحدة، فلم تكن الوحدة وما تحمله من اعتبارات سياسية هى الحافز لظهور الاله الأوحد الذى يحوى كل شيء بمقولة أن ترابط أواصر البلاد ينطبق على تلك الوحدانيـة ، بل على العكس من ذلك ، فهذا الـكيان الالهى يعتبر بمثابة الشرط والأساس لحدوث تلك الوحدة • ان ذلك الـكيان الالهى هو الذى يستحق فقط أن يسمى (Ntr) « الاله » ؛ وربما تكون تلك التسمية فى حد ذاتها قد عبر عنها بصفة « المختفى » •

وهنـاك هوة سحيقة تفصل بينه وبين الآلهة الأخرى التى خلقها هو والتى تعتبر كائنات سماوية تعلو من فوق البشر • ويمكننا أن نعتبر تلك الآلهة واجهات لجسم واحد ، وكل وجه يحمل صفة من صفات الاله الأعظم ، فهو فى النهاية لايعدو أن يكون محصلة تلك الصفات والقوى

---

(١) راجع
Drioton, ASAE, **XLIV, 111; Les dedicaces de Ptol. Euer. II.**

(٢) « المختفى » = Imn ، الذى لا يكون = Nn — wn

الموجبة والسالبة التى تتفاعل مع بعضها لتظهر فى النهاية فى صـــورة خالق هذا الــكون ٠

وعلى هذا الأساس يكون « للاله الأعظم » أسماء الآلهة الأخرى المختلفة ٠ فهى اذن فى مجموعها مظاهر لوجوده ٠

فالآلهة التى تمثل بالأشكال الحيوانية مثلا هى قوى حاميـــة وهى جزء من الأصل أو تقمص له ٠ وفى بعض الأحيــان ينـــادى الـكائن الأسمى بأسماء وصفات مختلفة مثل : ــ

الخالق ــ البـــانى ــ المخصب ــ الحى ــ الحــافظ ــ الرازق ــ الدائم ــ الحامى ــ الموقظ ــ الرابط ٠

وقد استخدمت هذه الأسماء خاصة فى الدولة القديمة :

« رائع التشييد » ــ « الحى حامى الحمى » ــ « الطيب الحامى » ٠٠٠٠ الخ أو يسمى بكلمة « الــه » فقط ، كما ورد فى النص « المرء لا يعرف ماذا سوف يحدث ، وماذا يفعل الاله عندما يعاقب » (٣) ٠

وفى بعض الأحيان ينادى ببعض الصفات على أساس أنه :

رحيم ــ لطيف ــ ودود ــ كبـــير ــ خالـــد ــ حى ــ عظيم ــ عادل ــ عليم ٠

وبمتابعة الصفات الالهية السابق ذكرها تجدر الاشارة الى صـــفة آمون ــ المختفى ، والتى يمكن تتبعهـــا فى بعض المعبـــودات الأخرى

---

(٣) راجع تعاليم الحكمة لـكاجمنى ٠

خاصـــة فى العصر المتأخر . فتلك الصفة تتسم بنوع من الغموض وهو ما أسميناه بالصفة السلبية . والتى من خلالها أمكن التعبير عن السمو الالهى ، كمـــا ورد فى النص : « ان صـــوته يســـمع ولـــكن لا يمكن رؤيتـــه » (٤) .

وبالنسبة لصـــفة « العـــدل » فيخاطب الاله كما لو كان وزيرا . فهو « الوزير العادل » بمعنى العدالة الأرضـــية المثلى المنفـــذة لارادة الآلهة « ماعت » — احدى صـــور الاله الأعظم التى تعمل على توازن نظام العـــالم . والتى من خلال ارتبـــاطها بالملك الحاكم أمكن التغلب على الفوضى وسوء الأحوال خلال العصر العتيق (٥) . وهى فى ذلك تربط المجـــال الروحى بمجال الحياة .

والصفات الالهية الأخرى مثل السمع ، البصر ، والمعاونة ، مرتبطة فى نفس الوقت بمجال الحيـــاة الدنيـــا حيث تلعب دورا هاما فيها . وتعاليم الحكمة كقواعد لحيـــاة الانسان مرتكزة على الخلفية الدينيـــة تشير بوضوح الى ذلك ، كما ورد بنصوص الجمل التالية :

« يجب على المرء أن ينصت الى التعاليم » (٦) « الانصات لطالب الحاجة » « يجب على التلميذ أن يستمع » (٧) .

ثم ان المخلوقات النصف الهيـــة تستمع أيضـــا الى الالتماســـات

---

(4) Walter Wolf, **Das alte Agypten** d. t. v. S. 74.

(5) **Ibid.,**

(٦) قارن اختـــاتون وديانة العمارنه . « سماع تعـــاليم الحياة » . « التطلع لجمال آتون » .

(7) **Brunner, Altagyp. Erziehung.** Wiesbaden 1957, S. 131 f.

وتقوم بتوصيلها للآلهة تماما مثل الأشخاص المعبودة ، كما ورد بالنص: « يا أهل مدينة الأقصر ، أخبرونى بطلباتكم والتى سوف أرفعها للاله آمون » [8] .

وصفة الرؤية لها نفس الأهمية ، على أساس ارتبـــاطها بالارشاد والهدى (ssm) من خلال النور الالهى : « متفتح الأعين ، والسماع من خلال الأذن » . « ارشاد الضال الى الطريق الصحيح » .. الخ .

وان ادراك النور الالهى يشير الى العلاقة بين النورانية الالهيـــة وضـــوء عين الانسان . فـــكلمة ارشـــاد تحتوى فى حـــد ذاتها على « النموذج الأعلى » أو « المثل الذى يحتذى به » . على أســـاس أن الـــكلمة المصرية للصورة أو الشكل = ssm تعنى أيضا « المثل الذى يحتذى به » .

ان صفات السمع والبصر والارشـــاد الصحيح تؤدى الى حرية الحركة التى بمفهومها العميق تناسب الاله . « واسع الخطى » ، وهى تعبير عن حرية الاله فى التعامل والتصريف الـــكامل وليست بمفهومها الحركى .

ان الاله هو ســـيد الشىء « الذى يكون ولا يكون » انه « المرئى والغير مرئى » ، « الأمس والغد » [9] .

انه خالق الـــكون وحاكمـــه ، وهـــذا يعنى أن تأثيره مستمر فى الحيـــاة التى خلقها . فاذا نظرنا الى هذه الازدواجيـــة من الناحيـــة

---

(٨) نص على تمثال امنوفيس بن هابو بالمتحف المصرى .

(٩) كتاب الموتى الفصـــل السابع عشر .

الدنيوية فلن نجد لها أثرا فيـــه • أما فى المجال الدينى فهو جزء واحد تجتمع فيـــه الايجابية والسلبية معا • هذا الازدواج فى حد ذاته يؤدى الى انقسام المثل الأعلى الى قطبين أحدهما فى الواقع مذكر والآخـــر مؤنث • القطب المؤنث يتمثل عادة فى صـــورة البقرة الأم ، ومثالنـــا فى ذلك الآلهه حتجور السماوية ، أو صـــورة طائر (١٠) • ومع أن هذه الواجهة المؤنثة للمبدأ الأعلى (١١) سميت بأسماء مختلفة كنوت وايزيس وحتحور ونيت ونفتيس وغيرها من الالهات ، فـــكلها توضـــح لنـــا فى نفس الوقت واجهة هامة للاله الأوحد (١٢) •

وفى داخل هذا القطب المؤنث نجد نوعا من الانشقاق : الشق الأول يتمثل فى صـــورة العنصر الأمومى • ولذلك يضع المصرى القديم على كل رأس مؤنثـــة رمز أنثى النثر وعليـــه يمثلون كل الالهـــات كأنثى النثر (١٣) •

---

(10) Junker, Sehender und blinder Gott, S. 37, 40.

(١١) « الـــكبيرة » « سيدة كل شىء » ، قارن أيضا « بيشات »
JEA., 1941 p3pf.

(12) Capart, Quelques obs. S. 1. Deésse dél Kab, Brussel 1941, P. 171 ff.

(١٣) قارن أيضا النحلة (ملكة النحل) = ملكة مصر السفلى = نيت وعلى رأسها تاج مصر السفلى • قارن ايضا Brugsch, thes. 698, Pyr. 1434 c. s. فى نصـــوص العصر المتأخر يلحق بكلمة « الحماية » رمز انثى النسر الذى يبسط جناحيـــه للحمـــاية • قارن Hopfner, Tierkult, S. 105 نربط هنا بين ذلك وبين الحاق صورة أنثى النسر عندكتابة كلمة «أم» mut

ان مبدأ الاحاطة والحماية يظهر لنـا فى صـورة البيت أو بنـاء العش [١٤] .

(حتحور = بيت حورس ، انهـا تتلقى وتـلد الطفـل الالهى) « العالم ينظر اليه كبيت يبنى » [١٥] أما الثانى فيتمثل فى الطفلة البكر والذى يوحى بأن آلهات كثيرات يمكن حل كل منها الى جزءين : الأم الطفلة . فنحن نعلم أن هناك آلهتان حاميتان : أنثى النسر والثعبان. وآلهتان ندابتان : ايزيس ونفتيس ... الخ [١٦] .

ومن نصوص الأهرامات نعلم أن هناك « آمان » ، أى الثعبانين واللذان يظهران فى صورة « العينـان » ، أو « التـاجان » . انهـا الازدواجية التى سبق ذكرها : الأم والطفلة والتى تعـبر عن تركيبـة العنصر المؤنث نعنى بذلك أن الأم هى التى تحمى وتضحى بحياتها [١٧].

أما الطفلة فهى الابنة المخلوقـة : « قبلى ابنتك ماعت ، ضـعيها

---

(١٤) قارن « حورس فى العش » « وحـورس فى القصر » = فى أحضان الأم .

أنظر لوحات أبيدس . قارن أيضا غطاء التابوت = نوت .

(١٥) قارن الآلهة سشات عند تأسيس المعبد .

(١٦) اعتقد أن هنـاك تشابها فى ذلك وشجرتى الجميز اللتين تلدان ابن الشمس . فمن الناحية المعمارية يتضح ذلك فى برجى بوابة المعبد الكبير للاله . والذى يماثل أيضا « الجبلين » اللذين تشرق بينهمـا الشمس (رمز الصرخ) .

(١٧) نذكر الآلام الشديدة التى اصيبت بها ايزيس عندما لدغ ابنهـا حورس من العقرب لدغة مميتة .

أمام أنفك = النفس ، النور ، الحياة ، كى يعيش قلبـــك والا تبتعـــد عنـــك » [١٨] .

وبكارة الأنثى هنا شىء هام جدا لمـــا لها من صلة بمكانة زوجـــة الاله والابنة المتبناه والتزامها ببقائها غير متزوجة [١٩] .

مما سبق ذكره يتضح لنـــا اتحاد قطبين داخل المبدأ الأعلى الالهى (Ntr 3) أحدهمـــا سالب والآخر موجب أو واجهة الصباح وواجهة الليل أو جانب حركى وجانب ســـاكن .. هـــذا العـــلو والسمو الأزلى للقوى القطبيـــة فى « الأوحد » والتى تتنافر وتتنـــاقض فى صـــورة الجوهر والشكل أو الروح والمادة ، يماثلها فى الحياة الدنيوية مفاهيم السلبية والايجابية ، الخير والشر ، والتى عبر عنها المصرى القديم على وجه الخصوص بأسماء الآلهة : حـــورس وست [٢٠] وعنـــد ذكرنا للاله « ست » تجدر الاشارة بأنه سواء ربطنـــاه فى مراحل تطوره الأولى بمصر العليـــا أو بشرق الدلتا فليس ذلك موضوع نقاشـــنا الآن [٢١] . والذى يهمنا أنه عبر عنه من النـــاحية الدنيوية منـــذ عصر الأهرامات كخصم لـــكل ماهو الهى ، انه الظلام ، الليل ، الصحراء ، ابن الليـــل

---

(18) CT 80, II, 35.

(١٩) قارن نصوص الأهرام نص رقم ٢٥٠ .

(20) G. Thausing, **Ethik und Magie** WZKM, 54. Bd, 1957 S. 208

(21) Scharff, **Die Ausbreitung des Osiriskultes,** Bayr. AK. Wiss. Sitz. Ber., 1948, S. 26 ff. Stock, **Das Ostdelta Agyptens in seiner entscheidende Rolle,** Welt des Orients.

(ابن نوت) ، الموت ، الظلال « لقد اتحد حورس وست فى الواحد » (٣٢) •

وهذا لايناقض انضمام ست فيما بعد الى اسطورة ايزيس وأوزوريس • فليس بالشىء الهام هنا الحدث التاريخى ، ولكن الازدواجية الأبدية — والتى انعكست على الناحية التاريخية — هى محل حوارنا •

وعلى ذلك فقد عرفنا أن هناك مبدأ الهى أعلى ، وهو قدرة وطاقة كل متغيرات الأشكال النابعة منه • وبعيدا عن هذا النوع من الازدواجية للمبدأ الأعلى نعرف تعبيرات أخرى : « انه الاله المتوج فوق كل تناقض ، الذى يتحد فيه كل من حورس وست ، الملك على الأرض صورة طبق الأصل منه » ، « قف من أجل حورس ، قف ضد ست » (٢٣) • هذا النوع من الازدواجية يظهر لنا من خلال أسماء بعض ملوك الأسرة الثانية ففى نهاية تلك الأسرة نجد نتيجة للقلاقل التى حدثت والرجوع لعبادة ست مرة أخرى فى الصعيد لفترة قصيرة • قام « خع — سخم » بوضع العلامة المميزة لست فوق واجهة القصر التى تحوى اسمه وذلك بدلا من حورس • ولكن سرعان (srh)

---

(22) Spiegel, **Horus und Seth**, Leipz. Frschg. Heft 9

Gardiner, JEA, 1944, 23 ff.

قارن فى ذلك الأحوال الدينية فى نهاية الأسرة الثانية ابان حكم كل من بر — يب — سن وخع — سخم وخع — سخم — وى !! انظر فيما بعد •

(٢٣) نصوص الأهرام نص رقم ٤٣٧ قارن أيضا

Sethe, PK. 793a, 971, P. 823

ما أعاد آخر ملوك الأسرة « خع — سخم — وى » [٢٤] • عبادة حورس مرة أخرى ولـكنه اضطر أن يضع العلامتين المميزتين لـكل من حورس وست مجتمعتين فوق واجهة القصر التى تحوى اسم الملك • وليس ذلك فقط كنوع من المساواة ولـكنه الرجوع والاتحاد فى الأصل مرة أخرى• فاسمه المزدوج يشير الى ذلك :

(h — shm . wy Nb. wy — htp — im . f)

= « أشرقت القوتان ، السيدان مسروران فيه » [٢٥] •

وهذا الإتحاد للمبـدأ المطلق يظهر بوضوح من خلال أقدم الصور التي عرفناها فى الأسرة الأولى : جناحا السماء مبسوطتان فوق الخليقة كنوع من الحمـاية •

انهما لا يمثلان شطرى مصر فقط ، بل كل شيء متنـاقض أيضا ، مثل النور والظلام ، السكون والحـركة ، المـذكر والمؤنث ، النظـام والفوضى ، الروحانية والمـادية ، الـكينونة والصيرورة • كما ورد فى النص : « اننى آتوم ، الذى كان بمفرده فى المحيط الأزلى (= الغموض والفوضى) ، رع فى اشراقاته (= النـور) اذا فتح عينيـه يشرق الصباح ، واذا أغمضهما يحل الليل » [٢٦] •

---

(٢٤) البعض يرجح أن « خع — سخم — وى » هو نفسه « خع — سخم » والذى غير من اسمه فقط بعد الرجوع لعبـادة كل من حورس وست مجتمعين معـا •

(25) Walter Wolf, Das Alts Agypten. S. 32

(٢٦) اناشيد ابفو . « انه الإله الذى يرى ولا يرى » •

ولقد ارتبط العصر العتيق برمز معبود أوحد فى غرب الدلتا [٢٧] ألا وهو الصقر . وهنا يتحول هذا الرمز — الذى تحول بدوره الى الاله الأعلى — الى « البعيد » = حورس أما جميع الآلهة الأخرى التى تكونت ونشأت فيه تحمل اسمه ، فهى صور منه ، لذا يظهر لنا هذا التشابه بين بعض الآلهة المحلية ، والكائن الأعلى . فعلى سبيل المثال « مين » و « حورس » ، أو بمعنى آخر التحول الى حورس ، أى الى الأعلى . وهنا يتساوى حورس مع Ntr 3 [٢٨] .

ان الصقر الذي اعتبرناه منذ العصر العتيق الروح الحامية لرئيس القبيلة فى مصر السفلى هو نفسه الذى أصبح فيما بعد الاله الأعلى ، انه البعيد أو الأعلى hrj = حورس = « البعيد » بمعنى الابتعاد عن كل ماهو دنيوى وكل ماهو عدواني [٢٩] .

وكان لارتباط الصقر ارتباطا واضحا بتأسيس الدولة المتحدة وما نتج عنه من ظهور الاله السماوى ، أن بقي هذا التقارب راسخا آلاف السنين . وساهم كركيزة وقاعدة أساسية في التغيرات اللاحقة [٣٠] .

---

(٢٧) ينسب « جاردينر » وسط الدلتا كموطن للصقر
Junker, **Pyramidenzeit**. S. 23 ff.

(٢٨) Junker, **Pyramidenzeit**. S. 21 قارن ايضا بداية المقال .

(٢٩) يمكن هنا مقارنة الصقر كروح حامية فى تمثال الملك خفرع بالمتحف المصرى . فى ذلك قارن مقالا للكاتب بعنوان « تأملات جديدة فى تمثال الملك خفرع بالمتحف المصرى » . ونفس الشىء ينطبق على تمثال رمسيس الثاني ومن ورائه الصقر . وهناك آلهة أخرى تظهر كحاميات مثل القرد = (تحوت) الجالس وراء الكاتب .

(30) J. Spiegel, **Das Werden der Altagyptischen Hochkultur**, S. 94.

فعند ظهور عبـــادة الشمس فى هليوبليس استخدم ذلك بحكمة من أجل الوصل بين العبادات ، وذلك بوضع قرص الشمس بين جناحى الصقر وعليه يمكننا تتبع الشمس المجنحة خلال العصور التاريخية المختلفـــة . وتجدر الاشارة هنـــا الى أن كل هذه التغيرات كان المقصود بهـــا فى المرتبـــة الأولى الاله السماوى الذى تمثل عيناه قطبى السماء : « عيناك اللتان تعيشان ترسلان اللهب ، عيناك السليمتان تضيئان الظلام . أنفك عش الهواء ، شفتاك بوابتا السماء .. الخ » (٣١) .

والاله العـــام يحمل ضمن اسمه الأساسى أسماء أخرى تطورت تطورا طبيعيـــا على مر العصـــور المختلفـــــة (٣٢) . حورس فى عصر الأسرات المبكر يتشابه مع حورس القديم الذى كان يعبد كرمز مقـــدس للقبيلة . ففى الحالتين تتفق صفات البعد والاستعلاء والسمو .

أن رع اله الشمس مظهر من مظاهر النور منذ الأسرة الرابعـــة والخـــامسة ، ثم بعـــد ذلك يظهر لنـــا آمون أو آمون رع فى الدولة الحديثة والذى تغلب عليه صفة الشىء البعيد الغير مكتشف (٣٣) .

انه دائما نفس الاله الأعلى ، فكل تسمية جديدة توضـــح واجهة أخرى لهذا المبـــدأ الأعلى . وبجانب تلك الأسماء والتسميات الســـابق ذكرها تأتى بعض الأسماء الأخرى الغير متـــداولة كثيرا ولـــكنها تظهر

---

(٣١) أناشيد ادفو . Junker a. a. O., S. 17 ff.

(٣٢) تلك الأسماء ليس لها علاقـــة بالصـــفات السابق ذكرها مثل « الـــكبير » ، « الأوحد » ، « الرائع » .

(٣٣) قارن مع سبق ذكره فى أول المقال . آمون = المختفى .

يوضوح عند دراسة عقائد مراكز العبادة الأخرى [٣٤] ومع بداية الأسرة الخامسة أصبحت ديانة الشمس أى ديانة رع هى السائدة بالرغم من معرفتنا بوجود جذور لها منذ فترة طويلة سابقا [٣٥] .

ومع ظهور رع نتعرض لواجهة هامة للاله الأعلى : انه عنصر النور النور الذى ينتقل من المستويات الخلفية — فيكون باهتا — الى المستويات الأمامية فيظهر جليا واضحا فى الأسرة الخامسة ، وهو تعبير فى حد ذاته عن التيارات الروحانية لتلك الفترة ، والتى بدأت بوادرها منذ الأسرة الثالثة .

وجدير بالملاحظة هنا أن رمز أهرامات الأسرة الرابعة والتى وصلت درجة كمالها فى هذه الفترة أعلى مراتبها — لا تعبر عن شىء آخر غير ذلك [٣٦] .

---

(٣٤) انظر آخر المقال .

(٣٥) لدينا الدلائل الكثيرة التى تشير الى وجود الاله رع منذ العصر العتيق . فعلى سبيل المثال وليس الحصر nbj — Rc (= سيدى رع) قارن أيضا من خلال اسم الملك زوسر تعريف « الشمس الذهبية » قارن أيضا لقب كبير كهنة هليوبوليس منذ الأسرة الثالثة :

« الذى يرى الاله العام الكبير » ونصوص الأهرام خير دليل على ذلك مع ظهور معابد الشمس . انظر فى ذلك Ricke, Baukunst,II
ومنذ الأسرة الرابعة دأب الملوك على تسمية أنفسهم « ابن الاله رع » ، وأرى شخصيا أن هذا نوع من البعد والاختلاف عن الاله نفسه ، وليس قربا واندماجا معه .

(36) Thausing, **Zum Problem der Pyramiden,** Anz. AK. d. Wissen. 1948.

ان طراز الفن فى الأسرة الرابعة متمثلا فى أهرامات الجيزة ببساطته الهندسية ووضوحه يعبر عن الروحانية وعن التعبير الموجب الخالص الخالق ، أعنى أنه مظهر النورانية فى الديانة • هذا النمط أو الطراز هو الذى اسماه « يونكر » « طراز الجيزة — الدقيق الأملس »، معتمداً فى ذلك على تعبيره عن الناحية الدينية الواضحة • وتلك الفكرة تزداد وضوحاً مع ظهور معابد الشمس فى أبو صير • متمثلة فى المسلات رمز النورانية (= صورة الاله رع على الأرض) (٣٧) •

والمسلة فى حد ذاتها شعاع الشمس الذى يستقر ضوءها على قمتها المدببة وهو الطاقة الالهية الخالقة الكامنة فيه •

ومع ظهور عبادة الشمس فى هليوبوليس خلال الأسرة الخامسة (٣٨) — والتى شقت طريقها منذ الأسرة الثالثة — يكون ذلك التيار الروحانى قد انتقل نحو كامل سيادته ، وكما ذكرنا فمعابد الشمس مثلا واضح وشاهد على ذلك (٣٩) •

فمعابد الشمس فى الأسرة الخامسة وما تحمله فى طياتها من دلائل واضحة للاله الأعلى ترتبط ارتباطا وثيقا بمعابد الاله « رع » فى

---

(٣٧) نصوص الأهرام نص رقم ١١٧٨ •

(38) Spiegel, Hdchkultur, S. 360 ff.

(٣٩) هذا لايغير من مفهومنا عن العلاقة بين معابد الشمس والوحدانية وما يذكره يونكر عن وجود صلة بينها وبين الملك الاله • اقرأ فى ذلك
Junker, WZKK (1957) S. 222 ff.

هليوبوليس • وان ذلك يبدو واضحا من خلال قصة الملك خوفو أو الساحر [٤٠] •

فقد ذكر الساحر للملك خوفو أن أسرار معبد الاله تحوتى التى يطلبها لا يمكن احضارها له لأنها محفوظة لدى أحد التوائم الثلاثة الذين مازالوا فى جسد زوجة أحد كهنة الآله رع ، والذين سوف يحكمون بعد ذلك البلاد واحدا تلو الآخر •

وبما أنهم فعلا الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الخامسة فعلى ذلك تتضح العلاقة بين هليوبوليس وظهور معابد الشمس فى الأسرة الخامسة وعبادة الاله « رع » [٤١] •

والذى يهمنا هنا أن الاشارة الألهية ظهرت أيضا وفى نفس الوقت فى هليوبوليس فتعاليم هليوبوليس تعرف كذلك أن رع (= الوهاج) يمثل جانبا هاما « للأعلى » وهو جانب النور • وفى بادىء الأمر عبد « الأعلى » فى صورة « آتوم » (= الذى لم يحدث بعد) وهى الطاقة والقدرة •

وترتبط بذلك ارتباطا وثيقا المجموعات الالهية المنبثقة من اله واحد : فعلى سبيل المثال هناك ثمانية أشكال تنبثق من « آتوم »

---

(٤٠) راجع فى ذلك بردية « وست كار » •

E. Brunner — Traut, **Altagyptische Marchen.** Duss. — Koln 1963, 11 ff.

S.Schott, **Altagyptische Liebeslieder.** Zurich, 1950, 176 ff.

(41) Walter Wolf, **Das alte Agypten, dtv.** S. 51 f.

أو « آتوم رع » كما سمى فيما بعـد ، بعد اتحاد ازدواجية الظـلام والنور فيه وتلاشيهما كازدواج .

انهم ثمان قوى الهية مرتبة حسب صـلات القرابة والنسب [٤٢]. والتكوين الالهى لهـذا التاسوع مجتمعـة مع « آتوم — رع » قـد حدث منذ الأسرة الثالثـة ، فالمبـدأ الأعلى يسمى حينئـذ « رع » ، والذى تشبه ثم اندمج هو الآخر مع حورس وتحول الى الاله العظيم.

ومشابها لتعاليم ديانة هليوبوليس تظهر لنـا ديانة منف أيضـا المنبثقة هى الأخرى من اله واحد متمثلة فى مبدأها الأزلى « بتاح » ، الذى تنبثق منه هو الآخر ثمانية أشكال أخرى ، آخرها النور فى حـد ذاته : « نفرتم » (= اللوتس) ، « أمام أنف الاله رع » [٤٣] .

وكما أثبتنا من قبل أن رمز الاله حورس [٤٤] قد تحول الى الاله العالمى ، ونجد أن ذلك ينطبق أيضـا على « بتـاح » = « الأسـاس والأصل — البداية والهـدف » ، فقد خلق هو أيضا من خلال التكوين الثمانى ، مثل « رع » فى هليوبوليس أو شبسس spss(j) (= الرائع — الراقى) فى هليوبوليس الـذى يتقمص كـلا من شخصيتى آون وبتـاح .

وفى غرب الدلتـا ومنذ قـديم الأزل كانت هنـاك مراكز لعبادة

G. Thausing, **Sein und Werden,** S. 92.

(٤٣) قارن Sandman, PTAH S. 11 f.

(٤٤) انظر نفس المقال ص ٨ .

الصقر [٤٥] ، وهى التى كونت ذوعا من الاتحاد مع الاله العالى ، فهنا أيضا نجد تلك التسمية المزدوجة للاله الأعظم : Mhntj — irtj = الاله ذو العينين ، Mhntj — n — jrtj = الاله بدون العينين (الاله الذى لا توجد لوجهه عينان) [٤٦] •

وكما ذكرنا من قبل يحتوى هذا التعبير على نفس الفكرة : الظلام والنور ، السالب والموجب ، السكون والحركة [٤٧] • هذه الثنائية نتضح من خلال تسميات الاله الأعلى فى الدولة الحديثة : « آمون — رع » فآمون هو المختفى أى هو الطاقة الكامنة ، فى حين أن رع يمثل المجال أو الوسط المرئى • ففى كتاب الموتى الجزء ٦٤ يذكر الآتى : « لقد ذهبت من لوتوبوليس الى هليوبوليس كى أعرف الفنكس [٤٨] بأشياء العالم الآخر » • ومعنى ذلك أنه نزل الى أسفل القاع وأحضر ماهو أسفل الى أعلى ، الى النور ، الى الادراك • فى أعماق الظلام ينبثق النور ، من Mhntj — n — irtj وهو فقدان الضوء يظهر الا Mhntj — irtj = الاله ذو العينان [٤٩] وتجدر الاشارة هنا الى أن Mhntj — irtj وكذا Mhntj — n — irtj يتحدان سويا مع آخر نجوم الدب الأكبر ،

---

(٤٥) حورس الذى ينتمى الى لوتوبوليس •

(46) Junker, Der Sehende und blinde Gott.

(47) Sauneron — Yoyotte, **Aeg. Schopfungsmythen,** S. 37 fff. Quellen des Alten Orients.

(٤٨) الفنكس يمثل هنا الضوء •

(٤٩) قارن فى ذلك أيضا •

Junker, **Der Sehende und blinde Gptt,** S. 38 f.

بمعنى أن الاله الأعلى يربط ويثبت نفسه أيضا بمجال النجوم الثابتة، تماما مثل اتحاده مع قرص الشمس والذي يتضح فيما بعد من خلال ديانة العمارنة • فالديانة الكونية وديانة الشمس يقفان متقابلين على قطر واحد (٥٠) •

فاذا تأملنا موضوع النور ومفهومه ، أى ديانة هليوبوليس والتعاليم الأخرى المنبثقة منها ، نجد أن ديانة الكواكب والنجوم تعبر عن الظلام ، الليل ، الماضى والشر ، لذا يظهر لنا ذلك فى الاتحاد مع « ست » وهو في حد ذاته مبدأ الشر لذلك يسيئد « لست » النظام الكوني للدب الأكبر ، مما ينتج عنه اعتبار لتوبوليس القطب المضاد لهليوبوليس •

يستخلص من ذلك تاريخيا أن « جورس » ثم « رع » وبعد ذلك فى الدولة الحديثة « آمون — رع » يمثلون جميعا مظهرا واحدا « للأوحد » الذى أوحى للبشرية من خلالهم •

وهكذا أوضحت الديانات الأساسية واجهة هامة من مظاهر الاله الأعلى ، متمثلة في « منف ، هليوبوليس ، طيبة » • أما مراكز العبادات الأخرى بما تحويه من آلهة محلية فقد طورت تطوراتها الموازية للعبادات الأساسية •

---

(٥٠) قارن فى ذلك تحديد الاتجاهات السماوية داخل المقبرة أو المعبد بناء على وضع الكواكب ، معتمدا فى ذلك على إتجاه شروق الشمس .

ويتضح مما سبق أن الثنائيـــة والازدواجية للاله الأعلى تمثل فى حد ذاتها واجهتى المبدأ الأزلى .

ويدخل أيضا فى نطاق تلك المجموعات الالهية المنبثقة من الواحد مانسميه بالثالوث ، فهى فى النهاية قوى الهيـــة متعددة تظهر لنا على هيئة أوجه وصور « الأوحد » .

فالطـــاقة الخالقـــة الثـــالوث تطابق تلك الموجودة بالتثليث داخل التاسوع ، فهو عبارة عن :

١ — المبـــدأ الأزلى (آتوم)

٢ — الذى نتج عنه (نوت أو تفنوت)

٣ — العـــلاقة بين الاثنين (جب أو شو)

أما بالنسبة للثالوث فهو انقسام الأوحد على نفسه مكونا قطبيـــة المتمثلين فى الأم والابن : آمون — رع ، موت ، خنسو أو بتـــاح ، سخمت ، نفرتم (٥١) .

نستخلص من ذلك وجود مبدأ أزلى للاله ، وهو « الاله العالمى » . الذى يسمى أحيـــانا3 —Ntr أو Ntr — wr أنه الطاقة الخالقة لـــكل ماهو متناقض ومتباين ، الطاقة الخالقـــة للثالوث والتثليث ، الطاقة الخالقة لـــكل ماهو متغير ومتنوع (الحياة فى حد ذاتها) للظاهر والباطن .

---

(٥١) قارن كتاب الموتى الجزء السابع عشر : « كنت بمفردى فأصبحت ثلاثا » .

انه الأوحد ، خارج الحركة وخارج السكون وبالرغم من ذلك يتحد معهم • « رع » و « أوزوريس » — الروح والحياة • « رع يستقر فى أوزوريس وأوزوريس فى رع » (٥٢) • انه الاقرار بوجود مبدأين أساسيين يتمثلان فى الأصطلاحين : « الكينونة والصيرورة » أو « الموجب والسالب » أو « المذكر الخالق والمؤنث المستقبل » (٥٣) هذان المبدآن الأساسيان شىء عادى فى المجال الأرضى من خلال حياتنا اليومية • ولكن بالنسبة للمصرى القديم فهو اقرار لمبدأ غير عادى (٥٤) •

فاذا خرج الأوحد من حالة الاستقرار هذه ، فعند ذلك تتحول الكينونة الى الصيرورية ، وهنا تستيقظ الازدواجية الكامنة فيه ، بمعنى انفصال الظاهر والباطن عن بعضهما • « أنا أتوم عندما كنت بمفردى فى الماء الأزلى ، أنا رع عندما ظهر كى يسيطر على ما خلق » (٥٥) •

أما فى النهاية المطلقة فتتلاشى تلك الازدواجية الثنائية : الكينونة والصيرورة ، الماضى والمستقبل ، الفوضى والنظام ، الخير والشر ، الليل والنهار ، الحياة الدنيا والآخرة ، الروح والمادة ، الأب والابن ، الرجل والمرأة •••• الخ •

---

(٥٢) كتاب الموتى الجزء رقم ١٨٢ .

(٥٣) يجدر بنا هنا التأمل فى حياتنا اليومية متمثلة فى اليمين واليسار وما تحويه من انقسام وفى نفس الوقت اتحاد وجودى مصيرى .

(٥٤) فقد ذكر الأستاذ E. Otto (بالنسبة لموضوع الثنائية والازدواج) « انه يعتقد ما أسماه » : « التفكير الخاص للانسان المصرى القديم » .

(٥٥) كتاب الموتى الفصل السابع عشر .

بمعنى آخر تعود تلك الأشكال المنبثقة من مبدأ « الأوحد » الى حالة استقرارها الأولى [٥٦] بعد انفصالها عنه لتندمج معا مرة أخرى — تماما مثل الشكل الهلامى أو الزئبق الذى تنفصل جزيئاته عن بعضها ثم تعود فتندمج مع الأساس مرة أخرى — مكونة ذلك المبـــدأ أو المعتقـــد الأعلى ألا وهو Ntr— 3 أو Ntr — Wr « الاله الأكبر » .

---

(٥٦) قارن ماسبق ذكره بالنسبة للتاسوع والثالوث والتثنية .